

## الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ مُعَلَّقًا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ فَتَلْكَ هِيَ الْحَيَاةُ فِي الْأَحْيَاءِ، وَلَكِنَّ الظُّوَاهِرَ أَحْيَانًا تُمِيلُ كِفَّةَ الْمَوْتِ فَيَبْدُو الْأَمْرُ إِلَى الْمَوْتِ مَائِلًا، وَقَدْ تَدُلُّ الظُّوَاهِرُ أَحْيَانًا عَلَى رُجْحَانِ كِفَّةِ الْحَيَاةِ فَيَبْدُو الْأَمْرُ إِلَى الْحَيَاةِ مَائِلًا، وَلَكِنْ فِي الْحَيِّ الَّذِي يُشَارِفُ الْمَوْتَ تَمَامًا كَمَا فِي الْحَيِّ الَّذِي لَا تَبْدُو عَلَيْهِ ظُوَاهِرُ الْمَوْتِ يَصْدُقُ هَذَا الْكَلَامُ.

إِنَّ الْإِنْسَانَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ، وَالْحَيَاةُ فِي الْبَدءِ وَفِي الْمُنْتَهَى بِيَدِ  
اللَّهِ وَحَدُّهُ، يَقْضِي بِمَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، بِيَدِهِ الْأَمْرُ، يَهَبُ الْحَيَاةَ لِلْأَحْيَاءِ وَيَسْلُبُهَا  
مَتَى يَشَاءُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ.

إِنَّ الْأَحْيَاءَ فِي غَالِبِ الْأَحْوَالِ يُلَوِّنُونَ الْحَيَاةَ بِالْوَانِ انْفِعَالًا تِهِمْ؛ فَالْفَرْحُ يُلَوِّنُ الْحَيَاةَ بِلَوْنٍ  
مِنْ أَلْوَانِ الْفَرْحِ وَالسُّرُورِ وَكَأَنَّهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ، وَالتَّعَسُّ يُلَوِّنُ الْحَيَاةَ بِلَوْنٍ مِنَ أَلْوَانِ الْحُزَنِ  
الدَّائِمِ وَالْبُؤْسِ الْمُقِيمِ، وَالْحَيَاةُ فِي النَّهَائِيَةِ هِيَ الْحَيَاةُ، لَا تَتَلَوَّنُ بِلَوْنٍ يُلَوِّنُهَا بِهِ الْأَحْيَاءُ.

### الْحَيَاةُ هِيَ الْحَيَاةُ.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا آتَاهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ، وَأَتَتْهُ الْبَشَرَى قَبْلَ الْمَمَاتِ،  
الْإِنْسَانُ إِذَا جَاءَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الْخَيْرَ الصَّحِيحَ أَنَّهُ عَلَى  
الْخَيْرِ، وَكَانَ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ مُقِيمًا، وَكَانَ لِلْخَيْرِ مُوَاصِلًا، وَكَانَ عَلَى الْبِرِّ مُقْبِلًا،  
وَكَانَ فِي الْخَيْرَاتِ بَادِلًا، إِذَا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَطُوبَى، ثُمَّ طُوبَى، ثُمَّ طُوبَى.

يَقُولُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ فَهُوَ شَهِيدٌ»، فَهَذِهِ  
عَلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْخَيْرِ وَدَلَالَةٌ مِنْ دَلَالَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ يَذْكُرُهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الصَّرِيحِ: «مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ فَهُوَ شَهِيدٌ».

وَكَانَ الْأَصْحَابُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَلَى يَقِينٍ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فَكَانُوا يُحِبُّونَ أَنْ يَشْهَدُوا الْجَنَازَةَ الَّتِي تَكُونُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، يَتَظَافَرُونَ  
مَعًا، وَيَتَعَاضِدُونَ إِعْلَامًا وَإِخْبَارًا وَحَثًّا وَحَضًّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَشْهَدُوا ذَلِكَ؛ لِيَقِينَهُمْ بِمَا أَخْبَرَ  
بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وَالنَّهَائِيَةُ فِي النَّهَائِيَةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، النَّهَائِيَةُ فِي النَّهَائِيَةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، إِذَا قَضَى  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِحُسْنِهَا فَذَلِكَ، وَإِذَا كَانَتْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَكَذَلِكَ، وَكَانَ تَبْقَى  
الْبَشَرَى، وَيَبْقَى مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فَإِنَّ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُعَلَّقٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ، مَرِيضًا كَانَ أَمْ صَاحِحًا، دَانِيًا مِنَ الْمَوْتِ مُشْرِفًا عَلَيْهِ مُعَانِيًا لَهُ، أَوْ صَاحِحًا يَتَمَتَّعُ بِالصِّحَّةِ فَيَبْدُو عَلَى ظَوَاهِرِ الْأَسْبَابِ بَعِيدًا عَنِ مَوَاقِعَةِ الْمَوْتِ وَالْوُقُوعِ فِي هَوْتِهِ.

تَفْنَى تِلْكَ الْأَشْيَاءُ بِمَظَاهِيرِهَا وَتَبْقَى الْحَقَائِقُ وَحَدَهَا؛ فَكُلُّ مَا يُعَانِيهِ الْمَرءُ فِي الْحَيَاةِ لَا يُعَدُّ شَيْئًا فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى النَّهَائِيَةِ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا، وَالْمُنْتَهَى الَّذِي يَسْعَى إِلَيْهِ، يَسْعَى إِلَى الْمُنْتَهَى بِهِ مَرُّ اللَّيْلِ وَكُرُّ النَّهَارِ، لِيُوقَعَ فِي النَّهَائِيَةِ أَمْرَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِكَيْ يَأْتِيَ فِي الْمُنْتَهَى إِلَى رَبِّهِ فَرِيدًا وَحِيدًا كَمَا خَلَقَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

إِذَا كَانَتْ الْحَيَاةُ مَبْدُولَةً لِلَّهِ، إِذَا كَانَ الْمَرءُ سَاعِيًا إِلَى اللَّهِ، إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ حَرِيصًا عَلَى مَرَضَاتِ اللَّهِ، إِذَا كَانَتْ النَّزَوَاتُ بَعِيدَةً، وَالشَّهَوَاتُ مُضْمَحَلَّةً، إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَلَى رَبِّهِ مُقْبِلًا، وَعَنِ الشَّهَوَاتِ مُدْبِرًا، وَلِهَذَا الدِّينُ بَازِلًا - فَمَا يَضُرُّهُ أَنْ يَمُوتَ، مَا يَضُرُّهُ أَنْ يَمُوتَ؛ أَلَا إِنَّهَا الْبَدَايَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِلْحَيَاةِ الْحَقِّ.

بَعْدَ ذَهَابِ الْوَهْمِ وَبَعْدَ فَنَاءِ الْخِيَالِ تَبْقَى الْحَقِيقَةُ - وَالْحَقِيقَةُ وَحَدَهَا -.

صَاحِحٌ! أَنَّهُ قَدْ لَا يَصِحُّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ صَاحِبٌ صَاحِحٌ، فِي الْحَيَاةِ كُلِّهَا بِطُولِهَا وَعَرَضِهَا قَدْ لَا يَصِحُّ لَكَ فِيهَا صَاحِبٌ صَاحِحٌ، فَتَفْقِدُ بِفَقْدِهِ بَعْضَكَ، تَفْقِدُ بِفَقْدِهِ بَعْضَكَ، وَيَتَلَدَّدُ لِفَقْدِهِ بَدْنُكَ وَجَسَدُكَ وَقَلْبُكَ.

صَاحِحٌ! قَدْ لَا يَصِحُّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ رَفِيقٌ وَلَا حَبِيبٌ، وَتَبْقَى فِي الْوَحْشَةِ تُعَانِيهَا وَتُعَانِيكَ، وَتُزَاوِلُهَا وَتُزَاوِلُكَ، تَبْقَى فَرِيدًا غَرِيبًا فِي صَحْرَوَاتٍ لَيْسَ لَهَا بَدْءٌ وَلَا مُنْتَهَى، فِي هَذِهِ الْوَحْشَةِ وَهَذِهِ الْعُرْبَةِ، وَلَا أَنْيسَ إِلَّا اللَّهُ - هُوَ الْحَيُّ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَزُولُ -.

صَاحِحٌ! أَنَّهُ قَدْ لَا يَصِحُّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ بِطُولِهَا وَعَرَضِهَا - قَدْ لَا يَصِحُّ - صَاحِبٌ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا رَفِيقٌ صَاحِحٌ، فَإِذَا صَحَّ ثُمَّ فُقِدَ؛ فَقَدْ فَقَدْتَ بَعْضَكَ، فَقَدْتَ قَلْبَكَ، وَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِدُ قَلْبَهُ مُسْتَقَرَّهُ.

يَا لَانْصِدَاعِ الْقَلْبِ الَّذِي يُسَمُّونُهُ الْحَسْرَةَ!

يَا لَانْصِدَاعِ الْقَلْبِ الَّذِي يُسَمُّونُهُ الْحَسْرَةَ!

يَا لَانْصِدَاعِ الْقَلْبِ الَّذِي يُسَمُّونُهُ الْحَسْرَةَ! بِنيرانها التي تتلظى، وبلهيبها الذي يتلهب  
بين الجوانح كإيّا، وفي الأحشاء نافذاً، وعلى مثل الجمر ينبض القلب.  
ولكن! هذه هي الحياة بحقيقة الحياة - وليست إلا الحياة -.

كَيْفَ الْخُلَاصِ؟

الْخُلَاصُ فِي الْإِخْلَاصِ، وَلَا صَلَاحَ لِلْبَدَنِ إِلَّا بِصَلَاحِ الْقَلْبِ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-، لَا صَلَاحَ لِلْبَدَنِ إِلَّا بِصَلَاحِ الْقَلْبِ.  
نَعَمْ! فَلْتَكْتَبِ الْعَوَاطِفُ جَانِبًا.

نَعَمْ! فَلْيَسْتَعْلِ الْمَرْءُ فَوْقَ نَصْلِ مَسْمُومٍ يُعْرَسُ فِي قَلْبِهِ وَيُدْفَنُ فِي فُؤَادِهِ؛ فَمَا لَاسْتِفْرَازِ  
الْعَوَاطِفِ خُلُقِنَا، وَإِنَّمَا لِكَبْحِ جَمَاحِهَا وَجِدْنَا؛ فَلْيَسْتَعْلِ الْمَرْءُ فَوْقَ عَوَاطِفِهِ، وَلْيَنْظُرْ إِلَى  
حَقِيقَةِ الْحَيَاةِ؛ لِيَعْلَمَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ فِي مُنْتَهَاهُ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ.  
نَعَمْ! لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ حَالٍ لُبُوسُهَا.

نَعَمْ! هُوَ دِينُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، تَتَفَاعَلُ بِهِ الْقُلُوبُ، تَحْيَا بِهِ الْأَرْوَاحُ، تَعْتَدِي بِنُصُوصِهِ  
النُّفُوسُ، تَحْيَا عَلَيْهِ الْأَجْسَادُ، وَلَا تَصِحُّ إِلَّا عَلَيْهِ الْحَيَاةُ.

نَعَمْ! إِنَّمَا هِيَ الْمَسِيرَةُ تُقَطِّعُ طَالَتْ أَمْ قَصُرَتْ، وَلَكِنَّ الْمُنْتَهَى مَعْلُومٌ.

لِذَلِكَ؛ عِنْدَمَا يَدْهَمُنَا الْمَرَضُ وَنُنشِبُ أَظْفِرُهُ الْحَدِيدِيَّةُ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ لَيْسَ مِنْهَا  
فَكَأَنَّ إِلَّا بِرَحْمَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، عِنْدَمَا يَأْتِي الْمَرَضُ وَيُعَانِي مِنْهُ الْعَبْدُ مَا يُعَانِي - لَيْسَ الْخَوْفُ  
هَاهُنَا مِنَ الْمَوْتِ؛ فَالْمَوْتُ عِنْدَمَا يَأْتِي يَأْتِي فِي مَوْعِدِهِ، لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْ مَوْعِدِهِ،  
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8]: كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِمِقْدَارٍ، لَا  
يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ؛ وَإِنَّمَا يَأْتِي فِي مَوْعِدِهِ.

وَعَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْأَسَى يُرْفَعُ، وَإِنَّ الْإِشْفَاقَ يَضْمَحِلُّ.

هَآ هُنَا تَعَامَلُ مَعَ حَقِيقَةٍ قَائِمَةٍ كَأَنَّهَا فِي النَّهَآيَةِ - بَلْ هِيَ أَعْلَى مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ - حَقِيقَةُ رِيَاضِيَّةٍ حَاسِمَةٍ جَازِمَةٌ وَاقِعَةٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ فِيهَا لَبْسٌ وَلَا التَّوَاءُ، حَقِيقَةٌ وَاقِعَةٌ.

فَمَا الشَّأْنُ - إِذَنْ - ؟

الشَّأْنُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَحْيَا فِيهَا الْإِنْسَانُ مُتَخَبِّطًا كَأَنَّمَا يَسِيرُ فِيهَا نَائِمًا، الشَّأْنُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَفْسُدُ فِيهَا الْقَلْبُ فَيَفْسُدُ الْجَسَدُ وَتَفْسُدُ الْحَيَاةُ.

مَا الشَّأْنُ - إِذَنْ - ؟

الشَّأْنُ فِي هَذَا الْقَلْبِ الَّذِي لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى صِرَاطٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ - وَكَمَا سُمِّيَ - دَائِمٌ فِي تَقَلُّبِهِ، وَمَا سُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا إِلَّا مِنْ تَقَلُّبِهِ.

هَذَا هُوَ الشَّأْنُ؛ فَكَيْفَ يَصْلُحُ الْمَرْءُ؟ كَيْفَ تَصْلُحُ الْحَيَاةُ؟

كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

كَيْفَ يَصْلُحُ الْقَلْبُ؟

يَصْلُحُ الْقَلْبُ بِالْخُلُوصِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْبِدْعَةِ، وَالْحِقْدِ، وَمَذْمُومِ الْخِصَالِ.. هَذَا صَلَاحُ الْقَلْبِ.

وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَبَّ الْجَزَاءِ عَلَى الشَّرْطِ: «إِذَا صَلَحَتْ؛ صَلَحَ»، «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً»: قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ بِمِقْدَارِ مَا يُمَضَّغُ - صَغِيرَةٌ هِيَ -، «إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»، هُنَا جَزَاءُ

قَدْ رُتِّبَ عَلَى شَرْطِهِ؛ فَلَا صَلَاحَ إِلَّا بِصَلَاحٍ، لَا صَلَاحَ لِلْجَسَدِ لَا صَلَاحَ لِلْحَيَاةِ إِلَّا بِصَلَاحِ الْقَلْبِ - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -، وَإِذَا فَسَدَ الْقَلْبُ فَسَدَ الْجَسَدُ وَفَسَدَتِ الْحَيَاةُ.

## كَيْفَ صَلَاحُ الْقَلْبِ - إِذَنْ؟

بِخُلُوصِهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَخُلُوصِهِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَخُلُوصِهِ مِنَ الْحِقْدِ وَمَذْمُومِ الْخِصَالِ.

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَتَّبَ الْغُفْرَانَ عَلَى هَذِهِ الْخِصَالِ فِي حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ - وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ - أَنَّهُ «إِذَا كَانَ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَطَّلَعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَى خَلْقِهِ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ، وَيَدْعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ»، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْمَرْوِيِّ عَنْ جُمَلَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَطَّلِعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ».

فَهَذِهِ هِيَ الْخِصَالُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَبْرَأَ مِنْهَا الْقَلْبُ لِيَتَحَصَّلَ عَلَى الْغُفْرَانِ، قَبْلَ دُنُوِّ النَّهَائَةِ الَّتِي لَا تُعْلَمُ، الَّتِي تَقُولُ الشَّوَاهِدُ إِنَّهَا دَانِيَةٌ - وَإِنْ غَفَلَ عَنْ دُنُوهَا الْعَافِلُونَ -، الَّتِي تَقُولُ الظُّوَاهِرُ إِنَّهَا قَرِيبَةٌ - وَإِنْ اسْتَبَعَدَتْهَا الظُّنُونُ وَاسْتَبَعَدَتْهَا الْأَوْهَامُ -.

قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ النَّهَائَةُ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَى الْغُفْرَانِ فَدُونُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَا يَغْفِرُ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ، لَا يَغْفِرُ إِلَّا لِلْمُوحِّدِينَ، لَا يَغْفِرُ إِلَّا لِأَصْحَابِ طَهَارَةِ الْقَلْبِ وَنَقَاءِ الرُّوحِ وَصَفَاءِ النُّفُوسِ.

أَمَّا الَّذِينَ يَتَلَوَّثُونَ بِالْأَحْقَادِ وَالْأَحْسَادِ، أَمَّا الَّذِينَ تَجْرِي فِي عُرُوقِهِمْ تِلْكَ الْأُمُورُ مِنْ مَذْمُومِ الْخِصَالِ - فَهُمْ عَنِ الْغُفْرَانِ بِمَبْعَدَةٍ.

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ...»، «فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ...»؛ فَالْمُشْرِكُ لَا يُغْفَرُ لَهُ، الْمُؤْمِنُ يُغْفَرُ لَهُ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ.

«فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ، وَيَدْعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ»، «فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»، مَذْمُومِ الْخِصَالِ، وَرَدِيءِ الصِّفَاتِ، مِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَلْبِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِ السَّبْعِيَّةِ الَّتِي تَتَوَثَّبُ فِي النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالَّتِي لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَأَبْصَرَتْ بَصَائِرُ الْبَصَائِرِ عَنْ أَمْرِ عَجِيبٍ؛ فَمَا بَيْنَ كَلْبٍ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ يُكْشَرُ عَنْ أَنْيَابِهِ، وَمَا بَيْنَ سَبْعٍ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ قَدْ تَوَثَّبَ لِلْإِنْفِضَاضِ عَلَى فَرِيَسَةٍ يَهْتَبِلُ الْفُرْصَةَ لِلْإِنْفِضَاضِ عَلَيْهَا، بِأَخْلَاقٍ كَلْبِيَّةٍ، وَأَخْلَاقٍ سَبْعِيَّةٍ، وَأَخْلَاقٍ خِنْزِيرِيَّةٍ.

وَأَمَّا الْأَخْلَاقُ النَّبَوِيَّةُ الْمُصْطَفَوِيَّةُ فَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْأَفْذَادِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ-.

«فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ»؛ فَلَا بُدَّ لِمَنْ أَرَادَ الْغُفْرَانَ أَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الشَّرِّكَ، وَأَنْ يَحْذَرَهُ، وَأَنْ يُجَانِبَهُ، وَأَنْ يُحَادِّثَهُ، وَأَنْ يُشَاقَّهُ -ظَاهِرًا وَبَاطِنًا-.

«أَوْ مُشَاحِنٍ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ لَا يُحِبُّ الشَّحْنَاءَ، إِنَّ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِيمَا أَخْبَرُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَمَّا يُحِبُّهُ مِنْ خِصَالِ بَنِي آدَمَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يُحِبُّ مَعَالِيَ الْخِصَالِ -يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ - وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».

تَدْرِي مَا سَفْسَافُهَا؟

قَدْ تَنْزَلِقُ فِي ذَلِكَ قَدَمُكَ، بِتِلْكَ الشَّبَكَةِ الْمَلْعُونَةِ، مِنْ تِلْكَ الشَّبَكَةِ الَّتِي تُنْصَبُ لَكَ لِنُدْخُلِ فِي فِخَاخِهَا، هِيَ شَبَكَةُ كَشْبَكَةِ الْعَنْكَبُوتِ، تَأْتِي الدُّبَابَةُ مُؤَمَّلَةً، فَإِذَا مَا وَقَعَتْ لَا تَسْتَطِيعُ فَكَاكَأ.

نَعَمْ! قَدْ تَنَزَّلَ الْقَدَمُ، فَمَا يَزَالُ يَجْرُكُ خُلُقُ ذَمِيمٍ، لِيُورِطَكَ فِي خُلُقِ ذَمِيمٍ، لِيُقِيمَكَ عَلَى خُلُقِ ذَمِيمٍ، لِيُنْحَدِرَ بِكَ عَنْ خُلُقِ ذَمِيمٍ، وَلَا تَسْتَطِيعُ مِنْ ذَلِكَ فَكَأَكًا، وَلَا عَنْهُ انْصِرَافًا، وَلَا مِنْهُ خَلَاصًا، وَيَزَالُ الْمَرْءُ فِي تِلْكَ الدَّوَامَةِ الْمَلْعُونَةِ مِنْ حَطِيطِ وَسَافِلِ الْخِصَالِ، لَا يَسْتَطِيعُ وَإِنَّهُ لِكَيْؤَمَلُ، لَا يَسْتَطِيعُ وَإِنَّهُ لَيْرْجُو، لَا يَسْتَطِيعُ وَإِنَّهُ لِيَحَاوِلُ؛ لِأَنَّهُ فَقَدَ الطَّرِيقَ، وَمَنْ فَقَدَ الطَّرِيقَ وَأَضَلَّهُ الطَّرِيقُ فَلَيْسَ عَلَى طَرِيقٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ حَائِرٌ تَائِهٌ فِي الْمَتَاهَةِ لَا يُفِيقُ، وَإِنَّمَا عَلَى الْأَجْرَةِ يُفِيقُ.

### وَيَحَ ابْنَ آدَمَ؛ مَا أَغْفَلَهُ!

وَيَحَ ابْنَ آدَمَ! وَهُوَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ وَقَدْ مَالَتْ كِفَّةُ الْمَوْتِ.

وَيَحَ ابْنَ آدَمَ! وَإِنَّهُ لَعَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ يَتَلَدَّدُ؛ لِأَنَّهُ يَهْتَبِلُ الْفُرْصَةَ لِاقْتِنَاصِ لَذَّةٍ، وَالتَّوَتُّبِ لِلْحُصُولِ عَلَى شَهْوَةٍ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَى مَنْطِقِ الذُّبَابِ، الْمَسْكِينُ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَى مَنْطِقِ الذُّبَابِ؛ يَقِفُ عَلَى حَافَةِ الْإِنَاءِ فِيهِ الْعَسَلُ يَقُولُ: مَنْ يُوصِّلُنِي إِلَيْهِ وَلَهُ دِرْهَمَانِ؟! .. فَإِذَا وَقَعَ فِيهِ قَالَ: مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْهُ وَلَهُ أَرْبَعَةٌ!!

فَيَا أَصْحَابَ الْمَنْطِقِ الذُّبَابِيِّ! حَنَانِيكُمْ، دُونَكُمْ الطَّرِيقَ، دَلَّكُمْ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ بِكُمْ شَفِيقٌ، وَبِكُمْ رَحِيمٌ رَفِيقٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِي الْأَخَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»، السَّفْسَافُ كَالْعَسَلِ فِي ظَاهِرِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِيهِ فَهُوَ كَالذُّبَابِ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ وَلَا أَنْ يَنْفِكَ عَنْهُ.

فَحَذَارِ، فَحَذَارِ، فَحَذَارِ أَنْ تَتَوَرَّطَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْعُمَرَ قَصِيرٌ.

كُنْ عَلَى عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ: «فَيَعْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»، «وَيَدْعُ أَهْلَ الْحَقْدِ بِحَقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ»؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَخَلَّصَ فِي عُبُودِيَّةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ: مِنَ الشَّرْكِ، وَمِنَ الْبِدْعَةِ، وَمِنَ الْحَقْدِ خَاصَّةً -فِيَّانَهُ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ-: «وَيَدْعُ -يَتْرُكُ- أَهْلَ الْحَقْدِ بِحَقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ».

الْحَقْدُ مَا هُوَ؟

الْإِنْسَانُ إِذَا مَا اسْتُعْظِبَ فَلَمْ يَعْظَبْ فَهُوَ حِمَارٌ - كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ عَلَيْهِ  
الرَّحْمَةُ -، وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُظْبِ فَيَجْعَلُ غَضَبَهُ عَلَى مِقْيَاسِ الشَّرْعِ نَافِذًا،  
وَيَجْعَلُ أَثْرَهُ بِمِقْيَاسِ الشَّرْعِ فَاعِلًا، الَّذِي يَكُونُ كَذَلِكَ هُوَ الرَّجُلُ حَقًّا.

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ...» يَعْنِي: الَّذِي يَصْرَعُ النَّاسَ وَلَا يَصْرَعُونَهُ؛ «وَإِنَّمَا الشَّدِيدُ  
الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعُظْبِ»، فَهَذَا هُوَ الشَّدِيدُ حَقًّا.

فَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لَا يَتِمَّاسِكُ، مُتَهَالِكَ الْبُنْيَانِ، تَنَخَّرُ فِي جَسَدِهِ الْأَمْرَاضُ، نَعَمَ! تَأْكُلُ  
حِينًا كَبِدَهُ حَتَّى لَا تَدَعَ فِيهِ حَلِيَّةً فَاعِلَةً لَا يَسْتَقِيمُ بِعَمَلِهَا حَيَاةً، وَيَعْدُو أحيانًا عَلَى قَلْبِهِ  
فَيَأْكُلُهُ أَكْلًا حَتَّى لَا يَدَعَ فِيهِ شَيْئًا، وَلَا يَصِحُّ حِينَئِذٍ -فِيهِ- أَنْ يُقَالَ: الْقَلْبُ الَّذِي لَا يَحْمِلُنِي  
لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ أَحْمِلَهُ، الْقَلْبُ الَّذِي لَا يَحْمِلُنِي لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ أَحْمِلَهُ؛ فَلْيَذْهَبْ مَرْجَرَ الْكَلْبِ،  
الْقَلْبُ الَّذِي لَا يَحْمِلُنِي لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ أَحْمِلَهُ.

النَّاسُ لَا تَحْيَا بِالْأَجْسَادِ؛ تَحْيَا بِالْقُلُوبِ، بِالْأَرْوَاحِ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَالِكَ مُعَلَّقَةً بَيْنَ الْحَيَاةِ  
وَالْمَوْتِ بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ، بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ، لَا يَأْتِي مِنْ دَاخِلٍ؛ وَإِنَّمَا يُفْرَضُ عَلَى الرَّئِثِينَ فَرَضًا،  
يُفْرَضُ فَرَضًا، يُفْرَضُ فَرَضًا، بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ.

نَعَمَ! النَّاسُ تَحْيَا بِالْقُلُوبِ، بِالْأَرْوَاحِ، بِرِصِيدِ الرُّوحِ وَالْقَلْبِ، تَحْيَا فِي الْحَيَاةِ لَا بِشَبَقِ  
يَحْيَا بِهِ الْمَرْءُ فِي كَثْرَةِ صِفَاتٍ كَأَنَّهُ عُصْفُورٌ، وَلَا بِتَحْمُلِ يَمْضِي بِهِ الْمَرْءُ فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّهُ  
الْبَعْلُ أَوْ الْجَمَلُ.

لَا؛ وَإِنَّمَا هِيَ الْأَرْوَاحُ وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، بِرِصِيدِ يَحْيَا بِهِ الْمَرْءُ، يَبْدُلُ بِهِ الْمَرْءُ، بِكَلِمَةٍ  
صَالِحَةٍ، وَعَمَلٍ مُطْمَئِنٍّ عَلَى قَرَارٍ، بِعَقِيدَةٍ ثَابِتَةٍ، فَإِذَا جَاءَ الْمَوْتُ جَاءَتِ الشَّهَادَةُ -إِنْ شَاءَ  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ-، وَالْأَمْرُ بَعْدَ بَيْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ، يَفْعَلُ  
مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمُنْتَهَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

فَاللَّهُمَّ مَنْ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، مَنْ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، مَنْ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يَكْرَهُ السَّفَاسِيفَ، وَهَذَا الْحَقْدُ مَا هُوَ؟

الْعُضْبُ إِن لَّمْ يَسْتَطِيعِ الْمَرْءُ لَهُ إِنْفَادًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مُخْرَجًا؛ كُظِمَ -لَا دِينًا؛ وَإِنَّمَا عَجْزًا-؛ يَصِيرُ حِقْدًا، يَسْتَنْقِلُ بِهِ الْمَرْءُ الْمَحْقُودَ عَلَيْهِ -يَسْتَنْقِلُهُ-، يَكْرَهُ النِّعْمَةَ الْوَاصِلَةَ إِلَيْهِ، يَتَمَنَّى لَهُ الْهَلَاكَ، وَيَكْرَهُ لَهُ الْخَيْرَ، يَحْقِدُ عَلَيْهِ، كَالْحَمَلِ إِذَا أَنْفَذَ غَضَبَهُ مِنْ بَعْدِ كَظْمِهِ - وَكَانَ قَبْلُ كَظِيمًا-، فَإِذَا أُطْلِقَ -فَإِذَا أُطْلِقَ- فَإِنَّهُ حَيْثُ يُنْفَذُ غَضَبُهُ حِقْدًا مَسْمُومًا.

يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: فُلَانٌ أَحْقَدُ مِنْ حَمَلٍ، أَحْقَدُ مِنْ حَمَلٍ؛ فَيُنْفَذُ حِقْدَهُ بِغَيْرِ وَعْيٍ، حِقْدٌ مَجْنُونٌ.

يَقُولُ الْمَأْمُونُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيَدْعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ»، نَعَمْ! لَيْسُوا أَهْلًا لِلْمَغْفِرَةِ، لَيْسُوا أَهْلًا لِلِاطِّلَاعِ عَلَيْهِمْ؛ «يَطَّلِعُ اللَّهُ إِلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ».

وَفِي الْحَدِيثِ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَطَّلَعَ إِلَى خَلْقِهِ، فَيَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَيُمْلِي لِلْكَافِرِينَ، وَيَدْعُ أَهْلَ الْحِقْدِ».

يَطَّلِعُ وَيَتْرُكُ، يَتْرُكُ أَهْلَ الْحِقْدِ، مَحَلُّ نَجَسٍ بِقَلْبٍ نَجَسٍ حَوَى زِبَالَةَ الصِّفَاتِ وَقُمَامَةَ الْعَادَاتِ، وَأَتَى بِأَحْطِ دَرَكَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْخِصَالِ وَالشِّيَاةِ، هَذَا إِنَّمَا تَوَمُّهُ كُلُّ الْحَشْرَاتِ الْحَيَّاتِ وَالنَّافِقَاتِ، هَذَا إِذَا مَا تَحَطُّ عَلَيْهِ الْهَوَامُّ الْبَغِيضَاتُ، هَذَا لَيْسَ أَهْلًا لِتُرُودِ الرَّحْمَاتِ، هَذَا مَاذَا يَكُونُ؟

هَذَا لَوْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا.. لَكُنَّا قَدْ مَدَحْنَاهُ، كَلَّا وَاللَّهِ! إِنَّكَ إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْئًا.. تَكُونُ قَدْ مَدَحْتَهُ، لَأ! هَذَا أَحْطُّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَ فِيهِ وَصْفٌ مُزْرٍ يَكُونُ بِهِ حَقِيقَةً.

نَعَمْ! هَذَا قَلْبٌ؟!!

لَأ! هَذَا قَلِيبٌ، لَأ! بَلْ هَذَا كَنِيفٌ!

لَيْسَ قَلْبًا، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُ قَلْبٌ؛ تَذُمُّ الْقُلُوبَ، إِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ قَلْبٌ.. فَقَدْ ذَمَمْتَ الْقُلُوبَ - قُلُوبَ الْأَحْيَاءِ-، تَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ، بِالْحَيَاةِ الْحَقَّةِ، تَسْتَمِدُّ الْحَيَاةَ بِقُدْرَةِ مُحْيِي الْمَوْتَى، يُحْيِيهَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِقُدْرَتِهِ، بِإِحْيَائِهِ إِيَّاهَا، هَذِهِ الْقُلُوبُ تَكُونُ لَهَا هَاجِيًا وَبِهَا مُزْرِيًا إِنْ قُلْتَ: هَذَا الْقَلْبُ قَلْبٌ.. بَلْ هُوَ كَيْفٌ، بَلْ هُوَ أَحَطُّ مَنْ ذَلِكَ؛ إِذِ الرَّجِيعُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فَائِدَةٌ عَلَى نَحْوِ مِنَ الْأَنْحَاءِ، إِمَّا بَدَاتِهِ -غِذَاءً لِلْهُوَامِ وَالْحَشْرَاتِ-، وَإِمَّا بِالِاسْتِحَالَةِ -عِنْدَمَا يَصِيرُ شَيْئًا آخَرَ-، وَأَمَّا هَذَا فَهَذَا مَاذَا!؟

«فَيْدَعُ أَهْلَ الْحَقْدِ بِحَقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ».

أَيُّهَا الْقُلُوبُ الشَّارِدَةُ وَالرَّوَاخُ النَّافِرَةُ! إِلَى أَيْنَ؟ إِلَى أَيْنَ؟!

إِنَّ الْعَبْدَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ بِنَفْسٍ يَتَرَدَّدُ، وَقَدْ يُفْرَضُ عَلَيْهِ، يُفْرَضُ عَلَيْهِ فَرْضًا؛ فَلَا يَنْبَغُ مِنْهُ نَبْعًا، وَإِنَّمَا يُفْرَضُ عَلَيْهِ فَرْضًا، وَاللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ مُحْيِي الْمَوْتَى، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قَادِرٌ -هُوَ- وَقَدِيرٌ وَمُقْتَدِرٌ عَلَى أَنْ يَمُنَّ بِالْحَيَاةِ عَلَى الْحَسَدِ الَّذِي يُشَارِفُ أَنْ يُفَارِقَ الْحَيَاةَ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ- لَا يَقْطَعُ رَجَاءَ الْمُرْتَجِينَ، لَا يَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ يَرْتَجِيهِ؛ فَيَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينِ، لَا تَقْطَعُ رَجَاءَ عِبَادِكَ فِيكَ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم.

## الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مُتَلَاذِمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الصَّفْحَ وَالتَّسَامُحَ وَالتَّصَبُّرَ وَالتَّوْفَاءَ وَالتَّبَدُّلَ - كُلُّهُ أَوْلَيْكَ - حِصَالُ مَحْمُودَةٍ وَشِيَاءِ مَرْمُوقَةٍ، كُلُّهُ أَوْلَيْكَ غَايَاتُ تَنْقَطِعُ دُونَ بُلُوغِهَا الْأَعْنَاقُ.

قَدْ يَعْلَمُ الْمَرْءُ فِي نَفْسِهِ خَلًّا بِاخْتِلَالِ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ فِيهِ، نَعَمْ! بِاخْتِلَالِ صِفَةٍ يَضَعُ الْيَدَ عَلَيْهَا عِنْدَ تَفْتِيشِهِ فِي أَطْوَاءِ قَلْبِهِ وَمَطَاوِيهِ، فَيَضَعُ الْيَدَ عَلَيْهَا هُنَا، هُنَا خَلَّلَ يَحْتَاجُ إِصْلَاحًا، وَلَا يُصْلِحُ الْقُلُوبَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَهَا، هُنَا، هَذَا الْخَلَّلُ قَدْ يَلْتَهُمُ الْحَيَاةَ وَلَا يُصْلِحُ، قَدْ يُمْضِي الْمَرْءُ عُمُرَهُ فِي إِصْلَاحِ خَلَلٍ وَاحِدٍ فِي مَنْظُومَةِ الْأَخْلَاقِ.

وَهِيَ مَنْظُومَةٌ مُتَكَامِلَةٌ؛ فَإِنَّ الْقِيَمَ لَا تَتَّبَعُضُ، وَالْأَخْلَاقُ لَا تَتَّجَزُّ، نَعَمْ لَا عَلَى اعْتِبَارِ الْمَجْمُوعِ وَلَا عَلَى اعْتِبَارِ الْأَزْمَانِ وَالْحَالَاتِ.

الْقِيَمُ لَا تَتَّبَعُضُ، الْأَخْلَاقُ لَا تَتَّجَزُّ، لَا عَلَى اعْتِبَارِ الْمَجْمُوعِ بِمَعْنَى أَنَّ الْعَبْدَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ وَفِيًّا وَهُوَ خَائِنٌ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مُخْلِصًا وَهُوَ غَدَّارٌ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ بَدُولًا وَهُوَ شَحِيحٌ بَخِيلٌ، يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مُحَصِّلًا لِخَلْقٍ فَاقِدًا لِبَقِيَّةِ الْأَخْلَاقِ، لَا تَتَّجَزُّ الْقِيَمُ، كُلُّ فَاعِلٍ بِحَيَاةٍ، فَإِذَا مَا تَجَزَّ صَارَ كَائِنًا مُشَوَّهًا لَا يَمُتُ بِصِلَةٍ إِلَى الْأَخْلَاقِ.

الْقِيَمُ لَا تَتَّجَزُّ، وَالْأَخْلَاقُ لَا تَتَّبَعُضُ، لَا بِاعْتِبَارِ الْمَجْمُوعِ وَلَا بِاعْتِبَارِ الْحَالَاتِ، يَعْنِي: تَأْتِي الْفُرْصَةُ السَّانِحَةُ لِلْخِيَانَةِ وَالْمَرْءُ عَلَى خُلُقِ الْوَفَاءِ، فَيُنَحِّيهِ جَانِبًا وَيُوقِعُ الْخِيَانَةَ، ثُمَّ يَرْتَدِي لِبُوسِ الْوَفَاءِ!

لَا؛ لَا بِاعْتِبَارِ الْحَالَاتِ وَلَا بِاعْتِبَارِ الْأَزْمَانِ: أَنْ يَكُونَ أُسْبُوعًا وَفِيًّا وَأُسْبُوعًا عَلَى الْغَدْرِ مُقِيمًا، أَنْ يَكُونَ أُسْبُوعًا مُخْلِصًا وَأُسْبُوعًا عَلَى الشَّرْكِ وَالْكَفْرَانِ قَائِمًا وَدَائِمًا وَمُقِيمًا!

لَا تَتَّبَعُضُ لَا عَلَى اعْتِبَارِ الْمَجْمُوعِ وَلَا عَلَى اعْتِبَارِ الْأَزْمَانِ وَالْحَالَاتِ.

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى سَيِّدِ الْكَائِنَاتِ وَجَدْتَ الْأَخْلَاقَ كُلَّهَا مَجْمُوعَةً بِجَمْعِهَا مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِهَا فِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَجَالُ الْعِظْمَةِ فِيهِ جَعَلَتْ أَقْطَابَ الْقَائِمِينَ عَلَى عِظْمَتِهِ بِمُفْرَدِهَا مُنْحَازَةً إِلَيْهِ دَائِرَةً فِي  
فَلَكَ وَحَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَتَجِدُ عُمَرَ، بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، مَعَ عُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَطَلْحَةَ،  
وَالزُّبَيْرِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، تَجِدُ الصَّحَابَةَ مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ، وَمِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا،  
وَمِمَّنْ شَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، تَجِدُ الصَّحَابَةَ مِمَّنْ كَانَ سَابِقًا إِلَى دِينِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ  
أَوَّلًا، تَجِدُ الصَّحَابَةَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ تَجِدُ كُلًّا فِيهِ مِنْ مَجَالِ الْعِظْمَةِ مَا قَدْ تَفَرَّدَ بِهِ؛  
فَهَذَا أَبُو بَكْرٍ نُمُودَجٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، وَهَذَا عُمَرُ نُمُودَجٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، وَهَذَا عُثْمَانُ نُمُودَجٌ قَائِمٌ  
بِذَاتِهِ، وَهَذَا عَلِيٌّ.. وَهَكَذَا، فِي كُلِّ مِنْ هَؤُلَاءِ عِظْمَةٌ مُتَفَرِّدَةٌ وَقَعَتْ عَلَى مَا يُوَازِيهَا لَمْ  
يُسَاوِيهَا، وَلَا مَا يُمَاتِلُهَا، وَلَا مَا يُنَاطِرُهَا فِي رَسُولِ اللَّهِ، فَاجْتَمَعَ هَذَا كُلُّهُ فِيهِ؛ فَأَيُّ  
كَمَالٍ؟!

وَالْمَرْءُ يُحَاوِلُ إِذَا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَوْطِنِ الْخَلَلِ فِيهِ - فِي قَلْبِهِ -، فِي قَلْبِهِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَالَ: «إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ»  
دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُهْتَمَّ بِالْقَلْبِ فَوْقَ الْإِهْتِمَامِ بِالْجَسَدِ: أَنْ يُفْتَشَّ فِيهِ، وَأَنْ يُنَحِّثَ فِي  
أَحْوَالِهِ وَتَقْلُبَاتِهِ؛ حَتَّى يَسْتَطِيعَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعْلَمَ أَيْنَ الْخَلَلُ، وَحَتَّى يَدْرِي مِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ  
الْإِصْلَاحَ فِي الْقَلْبِ الَّذِي تَدَاعَى - أَوْ أَوْشَكَ عَلَى التَّدَاعَى -، فِي الْقَلْبِ الَّذِي تَصَدَّعَ  
فَشَارَفَ التَّهَالُكُ مُتَهَدِّمًا؛ حَتَّى يَسْتَطِيعَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعْلَمَ أَيْنَ هُوَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ ذَلِكَ مَجْمُوعٌ فِيهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ فَأَيُّ  
عِظْمَةٍ؟!

لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَنْصَوْرَهُ، إِنْ شِئْتَ الْكَمَالَ فِي كُلِّ خِصْلَةٍ مَحْمُودَةٍ عَلَى أُمَّتٍ مَا تَكُونُ فِي  
بَشَرٍ فَهِيَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَائِمَةٌ مَائِلَةٌ بَائِنَةٌ ظَاهِرَةٌ - بَائِنَةٌ مِنَ الظُّهُورِ، لَا مِنَ الْبَيْنِ وَالْبُعْدِ  
وَإِنَّمَا مِنَ الظُّهُورِ؛ فَقَدْ بَانَ فِيهِ لَا مِنْهُ وَلَا عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدُلُّنَا عَلَى عِبَادَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ، خُلُوصٌ مِنَ الشَّرِكِ: مِنَ شَرِكِ الْمُعْتَقَدِ، مِنَ شَرِكِ الضَّمِيرِ، مِنَ شَرِكِ الْقَلْبِ، مِنَ  
شَرِكِ اللِّسَانِ، مِنَ شَرِكِ الْجَوَارِحِ، خُلُوصٌ مِنَ الشَّرِكِ جُمْلَةً ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَإِلَّا فَلَا غُفْرَانَ.

«فَيَغْفِرُ لِحَمِيْعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»، «يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ»، تَحْقِيْقُ الْإِيْمَانِ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ تَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ، الْخُلُوصُ وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الشَّرْكِ فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعْقَدَ عَلَيْهِ الْخِنْصَرُ أَوَّلَ مَا يُعْقَدُ عِنْدَ عَدِّ الْخِصَالِ وَعِنْدَ السِّيْرِ إِلَى الْكَرِيْمِ الْمُتَعَالِ، فَهَذَا أَوَّلًا.

هَذِهِ الْعِبَادَةُ تَسْتَبْعُ حَتْمًا طَهَارَةَ الْقَلْبِ مِنَ الْحِقْدِ؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَ الْمَاءُ وَالنَّارُ فِي يَدٍ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْمَرْءُ الْمَاءَ وَالنَّارَ قَدْ اجْتَمَعَا فِي يَدٍ، لَا يُمَكِّنُ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ، وَكَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَ الطُّهْرُ وَالنَّجَاسَةُ فِي مَحَلٍّ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَ النُّورُ وَالظُّلَامُ فِي مَحَلٍّ وَاحِدٍ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَ الْحَقْدُ وَالْإِيْمَانُ فِي قَلْبٍ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَجْتَمِعَ التَّوْحِيْدُ وَالشَّرْكَ فِي قَلْبٍ أَبَدًا.

«وَيَدْعُ أَهْلَ الْحِقْدِ بِحِقْدِهِمْ حَتَّى يَدْعُوهُ» وَقَدْ اطَّلَعَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ إِلَى خَلْقِهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ بِجَانِبٍ وَبِمَبْعَدَةٍ؛ فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ، أَنْ يَخْرُجَ مِنْ حِيْزِ التَّهْرِيجِ، ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِيْنٍ﴾ [ص: 88].

نَعَمْ! ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِيْنٍ﴾؛ فَالْمَوْتُ أَقْرَبُ لِأَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

نَعَمْ! إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ تَبَقِيَ لَهُ أَنْفَاسٌ مَعْدُودَةٌ، وَكَمْ مِنْ صَاحِحٍ مَاتَ، وَكَمْ مِنْ عَليْلِ بَرٍّ وَشَفِيٍّ، كَمْ مِنْ صَاحِحٍ هَلَكَ، وَكَمْ مِنْ عَليْلِ نَجَا، وَلَا يَعْلَمُ حَقِيْقَةَ الْأَمْرِ إِلَّا اللَّهُ.

فَاللَّهُمَّ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِيْنَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِيْنِ، مُصَلِّيْنَ وَمُسَلِّمِيْنَ عَلَى سَيِّدِ الْأَوَّلِيْنَ وَالْآخِرِيْنَ: نَسْأَلُكَ - يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ - أَنْ تَشْفِيْنَا، وَأَنْ تَشْفِيَ مَرَضَانَا، وَأَنْ تَشْفِيَ مَرَضَى الْمُسْلِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ عَافِنَا وَعَافِ مَرَضَانَا وَعَافِ مَرَضَى الْمُسْلِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِيْنِ: أَبرِيءُ مَنْ مَرِضَ مِنَّا، وَأَبرِيءُ مَنْ مَرِضَ مِنْ إِخْوَانِنَا، اللَّهُمَّ أَبرِئْهُ، وَعَافِهِ، وَعَافِ عَنْهُ - يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ -.

اللَّهُمَّ عَافِنَا وَعَافِ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، عَافِنَا وَعَافِ مَرْضَانَا وَعَافِ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ،  
اللَّهُمَّ عَافِنَا وَعَافِ مَرْضَانَا وَعَافِ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَحْسِنْ خِتَامَنَا، أَحْسِنْ خِتَامَنَا، أَحْسِنْ  
خِتَامَنَا، وَاجْعَلْ آخِرَ كَلَامِنَا مِنَ الدُّنْيَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.